الجزء الثانى

دراسات وبحوث تبنت أو إختبرت اتجاهات نظرية محددة

أولا : الأدب والقيم الاجتماعية القروية .
دراسة تحليلية وبحث ميدانى فى ضوء مفاهيم علم الاجتماع .

ثانيا : ظاهرة الرشوة فى المجتمع المصرى .
دراسة اجتماعية ميدانية .

ثالثا : السلطة والطبقات الاجتماعية فى مصر .
دراسة اجتماعية تاريخية .

رابعا : العلاقة بين التحول الاجتماعى وبناء القوة فى القرية المصرية .

نقصد الجزء الثانى من عرضنا الراهن للتركيز على عدد من الدراسات والبحوث التى تتميز بتبنيها والتزامها برؤية نظرية واضحة ومحددة منذ البداية . ونقصد بالرؤية النظرية التزام القائم بالدراسة فى ميدان علم الإجتماع بموقف نظرى محدد يملى عليه ضرورة الإختيار الذى يقوم على تحليل تاريخى للظاهرة موضوع الدراسة ، وفى ضوء ذلك يتحدد التوجيه النظرى لتناول كل باحث لدراسته .

وإذا رجعنا تاريخيا إلى نشأة علم الاجتماع وإرتباط تلك النشأة بتوافد الاتجاهات والأفكار والنظريات المتعددة والمتباينة المفسرة للظواهر الإجتماعية من حيث تطبيقها ، وعلاقتها بالظواهر الأخرى نجد . أنه يمكن تحديد تلك الإتجاهات والأفكار فى اتجاهين رئيسين يختلفان من حيث تصور كل منهما للمجتمع ، والظواهر ، والتغيرات الاجتماعية ، فضلاعن الهدف النهائى للنظم الاجتماعية والاقتصادية فيه . يتمثل الأول فى الاتجاه الوظيفى أو المثالى ، ويتعلق الثانى بالاتجاه الجدلى أو الماركسى .

فبينما يهتم الاتجاه الوظيفى أساسا بدراسة المجتمع من خلال النظر إليه كوحدة كلية ، والكشف عن العلاقة الوظيفية القائمة بين نظمه المختلفة بمعنى تساند أنساق المجتمع ، وقيام كل نسق بوظيفته بحيث يتحقق فى النهاية بقاء النظام وإستمرار كيانه . أى أن الاتجاه الوظيفى يهتم أساسا بدراسة الكيفية التى يسهم بها النظام فى حفظ المجتمع وبقاءه ، والطريقة التى توجد وتتكامل بها الأنساق الاجتماعية هى التى تحفظ وحدة المجتمع كبناء كامل .

فبينما تستند الدراسات والكتابات وفق هذا الاتجاه على الفكرة التى مؤداها أن المجتمع خاضع لمبدأ إعادة التوازن ، وهو المبدأ الذى تمتد جذوره إلى النزعة المحافظة التى صاحبت نشأة علم الاجتماع . يهتم الاتجاه الماركسى بدراسة المجتمع فى نظره شمولية تفسره فى ضوء منهج دائم التغير

والدينامية ، ويعالج العلاقة بين ظواهر الوعى الاجتماعى ، والأساس الاقتصادى – الاجتماعى ، ولقد أقامت الماركسية فلسفة جديدة إستطاعت من خلالها تفسير النظم السياسية ، والاجتماعية ، والثقافة بإرجاعها إلى الظروف المادية للحياة ، وتذهب الماركسية إلى أن هناك ثلاثة قوانين تحكم حركة المادة ، والمجتمع ، والعالم هى قانون وحدة الأضداد وصراعها ، وقانون تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية ، وقانون نفى النفى .

وهكذا بينما يؤكد الاتجاه الوظيفى على التوازن ، والإستقرار ، والنظام ، يؤكد الاتجاه الماركسى الجدلى على الصراع والديناميكية .

إذن فقد أصبح على الباحث الذى يقوم بدراسة الظواهر الاجتماعية أن يحدد موقفه النظرى الذى ينطلق منه فى دراسته . إذ أن هذا التحديد أو بمعنى آخر التبنى يساعده على إتباع المناهج وإستخدام الأدوات التى تلائم موضوع بحثه ، كما أن ذلك يساعده فى تحليل وتفسير بياناته . بيد أن تبنى هذا الموقف إنما يستند على مجموعة من الأسس والمبررات المنطقية التى لابد أن يعيها الباحث .

ومن هذا المنطلق فقد خصصنا هذا الجزء لعرض الأبحاث والدراسات التى حاولت تبنى اتجاه نظرى محدد ، ونقصد الاتجاه الماركسى ، ولا يعنى ذلك تحيزا منا لهذا الاتجاه ، ولكن الذى حدث أن الدراسات الثلاث التى وقعت بين أيدينا كانت تتبنى ذلك الاتجاه ، ولم تقع بين أيدينا أى رسالة تتبنى الاتجاه المثالى .

وبالتالى فسوف نعرض فى هذا الجزء لأربع من الدراسات ، الأولى تتخذ من العلاقة بين الأدب ممثلا فى قصة « الفلاح » للأديب عبد الرحمن الشرقاوى ، والقيم الاجتماعية الريفية موضوعا لها ، وتسعى إلى تفسير طبيعة تلك العلاقة ، وذلك بعنوان : « الأدب والقيم الاجتماعية القروية : دراسة تحليلية وبحث ميدانى فى ضوء مفاهيم علم الاجتماع » . والثانية تحاول إيجاد العلاقة بين التحولات الاجتماعية – الاقتصادية التى تمر

المجتمعات النامية وظاهرة الرشوة مع التركيز على مصر باعتبارها إحدى هذه المجتمعات ، وكان موضوعها : « **ظاهرة الرشوة فى المجتمع المصرى : دراسة اجتماعية تاريخية** » . أما الثالثة فتهتم بتصورات بعض الطبقات الاجتماعية حول قضيتى العدالة والديمقراطية فى مصر ، وكان موضوعها : « **السلطة والطبقات الاجتماعية فى مصر : دراسة اجتماعية تاريخية** ». تلك الدراسات الثلاث فيما عدا الأخيرة تتبنى منذ البداية الاتجاه المادى كمنطلق لها تفسر فى ضوءه القضايا المثارة ، والنتائج التى خرجت بها ، أما الدراسة الثالثة فلم تبدأ بالتبنى . إنما بدأت بإفتراض أنها ستختبر هل الإتجاه الماركسى يمكن أن يفسر طبيعة موضوع الدراسة أم لا ؟ ولنا فى ذلك حديث آخر عند التعرض لهذه للدراسة بالنقد والتحليل .

وفيما يتعلق بالدراسة الرابعة والأخيرة ، فكان عنوانها : « **العلاقة بين التحول الاجتماعى وبناء القوة فى القرية المصرية** » وهى وإن كانت قد تبنت الاتجاه الماركسى ، إلا أنها قد تعدت مرحلة التبنى إلى مرحلة أبعد من ذلك ، حيث كان الباحث يهدف منذ البداية إلى إثبات كفاءة الاتجاه الماركسى فى تفسير كل الظواهر الاجتماعية بالقرية المصرية .

أولا : الأدب والقيم الاجتماعية القروية*
دراسة تحليلية وبحث ميدانى فى ضوء مفاهيم علم الاجتماع

إذا كان للظاهرة الفنية جوانب أساسية هى : الفنان ، العمل الفنى ، الجمهور أو المتلقون ، وأخيرا الواقع الذى يتم فيه إبداع الفنان يعيش فيه مع جمهوره . فإن هذا الواقع هو فى الوقت نفسه الإطار الذى يمكن أن يفسر طبيعة تلك الجوانب . وهذه الدراسة تتجه أساساً فى جانبها التحليلى إلى العمل الفنى وهو رواية « الفلاح » التى كتبها عبد الرحمن الشرقاوى .

وينطلق الباحث القائم بهذه الدراسة من مجموعة من الأفكار حول طبيعة الظاهرة الأدبية ، وأهم هذه الأفكار هى أنه من الصعب فهم جانب معين من جوانب الظاهرة الفنية إذا أغفل الباحث بقية الجوانب الأخرى . فالفن هو الإدراك الجمالى للواقع . إدراك مشروط بظروف وعوامل تاريخية واجتماعية معينة ، وإذ كان الأدب نوع أو قسم من أقسام الفن ، فإنه يقوم أساساً على إستخدام اللغة كأداة ، وعلى خلق المواقف والشخصيات الخيالية . غير أن هذه المواقف والشخصيات المتخيلة لا تهبط على المؤلف من السماء ، وإنما هى فى التحليل النهائى تعبير عن رؤية الأديب وموقفه من الواقع .

وصياغة هذه الرؤية فى العمل الأدبى تنطوى على إختيار من بين عناصر

---

* قدم هذه الدراسة الباحث فتحى محمود إبراهيم أبو العيتين للحصول على درجة الماجستير فى علم الاجتماع من قسم الاجتماع بكلية الآداب / جامعة عين شمس فى ديسمبر ١٩٧٦ ، وقد أشرف عليها الدكتور حسن الساعاتى أستاذ ورئيس قسم الاجتماع بكلية الآداب / جامعة عين شمس ، واشترك فى مناقشتها الدكتور محمود عباس عودة أستاذ علم الاجتماع المساعد بكلية الآداب / جامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور عبد المنعم تليمه أستاذ الأدب بكلية الآداب / جامعة القاهرة .

للواقع إختيار تحكمه إنتماءات المؤلف، وعلاقته بالموضوعات التى يختار من بينها ، وتصوره عن الجماعة أو الطبقة التى يشعر بأنه يعبر عنها .

وتتخذ هذه الدراسة من مفهوم القيم وسيلة وأساساً لفهم المحتوى الأدبى لرواية « الفلاح »، والمقارنة بين المحتوى القيمى الذى تعكسه هذه الرواية، وبين القيم الاجتماعية الواقعية ، والطبقات والقوى التى يصورها الشرقاوى فى حركتها ، وموقفها ، ونماذج سلوكها .

ويمكن أن نطرح تساؤلا مؤداه : ما هو إطار الرواية من حيث الزمان والمكان ؟ وما هى سمات الشخصيات فيها وأدوارها ؟ ولكى يجيب الباحث على ذلك فإن إدراك المجموعات الاجتماعية التى تنتمى إليها تلك الشخصيات من حيث وضعها الاجتماعى— الاقتصادى ، والثقافى ، وعلاقاتها بعضها ببعض ، فى الظرف التاريخى الذى يعيشون فيه أمر ضرورى فى هذه الدراسة .

أما عن الرواية « الفلاح » . . محور الدراسة فقد إختارها الباحث بناءاً على مجموعة من الأسس ، أولها موقع هذه الرواية من المسار العام للرواية الريفية المصرية ، وثانيها محتوى الرواية وخصائصها ، وثالث هذه الخصائص أو الأسس موقع كاتبها فى الحياة الأدبية والفكرية فى مصر .

ولقد إرتبط ظهور رواية الفلاح عام ١٩٦٧ بالظروف المتغيرة التى شهدها المجتمع المصرى إقتصاديا ، واجتماعيا ، وسياسيا ، وفكريا ، وقد وجدت هذه الظروف المعقدة صدى لها فى محتوى الرواية . ومما يميز محتواها الرؤية التى صاغ المؤلف من خلالها الأحداث والوقائع التى شهدها مجتمع القرية الذى تصوره الرواية ، وهى رؤية تتميز عن الرؤى التى سبقتها باتجاهها إلى الواقع تعالجه فى ثورية تقدمية يحاول الشرقاوى من خلالها أن ينقل أفكاره عن الإنسان فى عجزه وضعفه ، فى قوته وشجاعته ، فى واقعه بين الإحباط والأمل ، والمجتمع فى تغيراته وتناقضاته . وهو فى ذلك

لا يتجه إلى تمجيد الطبيعة أو التركيز على بطل بعينه بقدر ما يصور صراع الإنسان وحركته فى إطار الجماعة . بالإضافة إلى تحليله الواقعى الذى يؤسس عليه رؤيته للمستقبل بما يمكن أن يحمله من أحلام وهموم وقيم جديرة إيجابية .

وهذه الرواية تصور مجتمعاً قوياً يفصح الوجود الاجتماعى فيه عن طبقات وجماعات اجتماعية تقوم بينها علاقات معينة ، تشكلها مواقع هذه الجماعات فى عملية الإنتاج الرئيسى فى هذا المجتمع ، ومصالحها ، والمدى الذى تصل إليه قوة كل جماعة ونفوذها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى سواء داخل القرية أو خارجها .

وإذا كانت القيم الاجتماعية التى يحملها الناس وتؤثر فى سلوكهم لا تتكون من فراغ ، بل تتشكل من خلال الوجود الاجتماعى لهؤلاء الناس ، أى من خلال علاقتهم بالبيئة الطبيعية من جهة ، وعلاقاتهم ببعضهم من جهة أخرى. فإن التعرف على هذه القيم يقتضى إبتداءاً التعرف على واقع هؤلاء الناس وعلاقاتهم .

وتدور أحداث تلك الرواية على أرض قرية تقليدية من قرى الريف المصرى ، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه ربما كانت القرية التى يصورها الأديب من قرى محافظة المنوفية ، محافظة الراوى ، أو ربما كانت قريته (الدلاتون) هى بالذات ، بينما يذهب آخرون إلى التأكيد على أن الشرقاوى قد نقل الأحداث التى حدثت فى قرية كمشيش بمحافظة المنوفية إلى ساحة قريته التابعة لنفس المحافظة ، والخاضعة لنفس الظروف ، وصورها تصويراً روائياً . وتدور الرواية حول التناقضات التى يعايشها مجتمع القرية نتيجة للتحول الاجتماعى الذى يمر به هذا المجتمع ، ويطرح الراوى رؤيته لهذه التناقضات من خلال تصويره للصراع الاجتماعى بين قوى وجماعات تتناقض مصالحها وعلاقاتها وقيمها الاجتماعية. فهو وإن كان قد أبرز الجوانب الإيجابية لهذا التحول والمتمثلة فى قوانين الإصلاح الزراعى وتحديد الملكية ، وإتساع ملكية فئة صغار الملاك ،

بحيث أصبح الفلاح المعدم والأجير مالكا للأرض ، ومدافعاً عن قيم الحرية والتعاون والحق ، إلا أن محتوى الرواية يتسع أكثر لتصوير مظاهر التناقض فى فترة التحول .

وإذا كنت قد أفضت فى توضيح موضوع الدراسة وإهتماماتها ، وكيفية التناول فيرجع ذلك إلى أنها تختلف عن كل الدراسات التى سبق أن تعرضنا لها ؛ إذ تعد أول دراسة اجتماعية تتناول بشكل مباشر موضوع علم اجتماع الأدب Sociology of Litarture أو الدراسة السسيولوجية للظاهرة الأدبية .

ونعود كما تعودنا فى كل دراسة إلى صياغة مشكلة البحث فنرى أن القائم بهذه الدراسة قد صاغ عنوانها الرئيسى صياغة محددة وموفقة فى نفس الوقت ، وأغنانا بذلك عن الدخول فى متاهات العناوين كما كنا نفعل دائماً حيث توضح الصياغة أن الباحث سوف يتناول الظاهرة الأدبية ، والمتمثلة فى قصة الفلاح للأديب عبد الرحمن الشرقاوى . وما يعكسه هذا الأدب من قيم اجتماعية فى المجتمع القروى الذى عايشه الأديب معايشة صادقة . هذا عن العنوان الرئيسى لموضوع البحث ، **أما عن العنوان الفرعى ، وهو : دراسة تحليلية وبحث ميدانى فى ضوء مفاهيم علم الاجتماع . فنحن نتساءل !! لماذا العنوان الفرعى ؟ ما أهميته ؟ وهل يعد إضافة إلى العنوان الرئيسى ؟** بالطبع لا . فمن المتعارف عليه **أولا** : أن الباحث سيتناول بالتحليل العلاقة بين الأدب أو العمل الفنى ، والقيم الاجتماعية القروية ، وثانيا أن البحث الميدانى أمر وارد فى كل بحث اجتماعى أو متضمن فيه دون الإعلان عن ذلك فى عنوان البحث ، وبخاصة وأن العنوان الرئيسى قد تضمن القيم الاجتماعية Social values القروية وهذا يعطى إنطباعاً سريعاً أن الباحث سوف يقوم ببحث ميدانى ، وثالثا إذا بحثنا فى العنوان الرئيسى نجده « الأدب والقيم الاجتماعية القروية » ومعنى ذلك أنها دراسة سسيولوجية سوف تركز على القيم الاجتماعية ، وليس على القيم الاقتصادية ، أو الفلسفية ، أو الدينية ،

أو الفنية، وبالتالى فلم يكن هناك داع أبداً أن يتضمن العنوان الفرعى فى ضوء مفاهيم علم الاجتماع فهذا أمر معروف بداهة دون تأكيد عليه .

ولكننا نعتقد أن الباحث إنما وضع عنواناً فرعياً لكى يوضح موضوع بحثه بصورة أكثر دقة ، وبخاصة ، وكما قلنا مسبقا ، أنها تعد أول دراسة من نوعها فى مجال علم الاجتماع فى مصر .

ومن حيث نوع أو نمط الدراسة الراهنة، فقد تبنت الدراسة منذ البداية الاتجاه الجدلى لتفسير طبيعة العلاقة بين العمل الفنى والقيم الاجتماعية ، إذ أن الباحث يؤكد فى مقدمته إلى أن المادية التاريخية قد صاغت رؤية متكاملة للإنسان والمجتمع يمكن أن تكون إطاراً ملائماً لتفسير ظواهر الوعى الاجتماعى من حيث نشأتها وتطورها وتغيرها ووظائفها الاجتماعية . وقد ذهب الباحث عندما تناول مفهوم القيم إلى أنها — أى القيم — ظاهرة إنسانية تاريخية واجتماعية ثقافية ، وأنها تتميز بالنسبية والطابع الطبقى ، وبالصراع والتباين والتغير ، وأنها علائقية ترتبط بخبرة الجماعة ومواقفها .

إن التحليل المادى التاريخى للظاهرة الفنية يمكن أن يفسح الطريق أمام فهم أشمل للفن وطبيعته الاجتماعية ، وأن شمول هذا التحليل جعله يتجاوز محدودية الأطر الفكرية الأخرى التى تصدت لتفسير الظاهرة الفنية . ولقد حقق التحليل المادى التاريخى لنفسه هذه الميزة لقدرته على الإفادة من التراث الإنسانى فى صياغة فلسفة اجتماعية عامة تستطيع أن تفسر المجتمع فى حركته وتغيره وفقاً لنظرة دينامية تدرك عوامل هذه الحركة ، وهذا التغير ، أى أن البعد التاريخى فى الفلسفة الماركسية يتسم بالحيوية، وهو فى الوقت نفسه يحدد الجانب الهام والحاسم فى التطور الاجتماعى ، ويتخلص من الميكانيكية والمثالية التى تطبع النظريات الاجتماعية الوضعية بطابعها الجامد غير الواقعى .

واضح إذن أن الباحث قد تبنى منذ البداية الاتجاه الماركسى لكى يفسر به طبيعة العلاقة بين الأدب والقيم الاجتماعية القروية .

ويمكننا أن نحدد أهداف الدراسة الراهنة على النحو التالى :

١ ــ تأسيس مدخل سسيولوجى منظم لفهم الظاهرة الفنية بشكل عام .

٣ ــ التعرف على طبيعة العلاقة بين الرواية الريفية المصرية من حيث نشأتها وتطورها ومحتواها ، وبين التطور الاجتماعى الذى شهده المجتمع المصرى منذ بداية مسار هذه الرواية .

٣ ــ الكشف عن القيم الاجتماعية التى يعكسها محتوى رواية الفلاح للكاتب المصرى عبد الرحمن الشرقاوى .

٤ ــ المقارنة بين القيم الاجتماعية التى ينطوى عليها محتوى رواية الفلاح ، وبين القيم الاجتماعية فى القرية المصرية .

ولكى يحقق الباحث هذه الأهداف الأربعة على كل من المستوى النظرى ، والتاريخى ، والتحليلى ، والميدانى فقد إشتملت على ثلاثة أبواب تضم ثلاثة عشر فصلا . كان الباب الأول عن : الظاهرة الفنية والفكر السسيولوجى : مدخل عام للدراسة ، وانقسم إلى فصلين ، تعرض الأول لطبيعة الظاهرة الفنية من وجهة نظر كل من التطورين ، والوظيفيين ، واتجاه الفعل الاجتماعى ، والتحليل المادى التاريخى ، وتعرض الثانى لمجموعة من النظريات التى فسرت مكانة النظام الفنى فى المجتمع ووظيفته فيه .

أما الباب الثانى وموضوعه : الأدب والقيم الاجتماعية : نظرة فى التراث وصياغة للإطار التصورى ، وضم الفصول من الثالث إلى السابع ، حيث خصص الفصل الثالث لعرض موقف علم الاجتماع الأدبى من حيث ميادينه الرئيسية واتجاهاته النظرية ، وعبر الفصلين الرابع والخامس ألقى نظرة على التراث المتاح المتعلق بظاهرة القيم ، فعرض الباحث لمسيرة القيم من التناول الفلسفى إلى المعالجة السسيولوجية ، مع تحديد بعض خصائص القيم

والإشارة إلى نماذج تصنيفها وعلاقتها بالتغير الاجتماعى ، وأساليب دراستها مع التركيز على أسلوب تحليل المحتوى الذى إستخدمته الدراسة فى الجانب التحليلى ، وفى الفصل السادس عرض الباحث لبعض الدراسات التى إستخدمت تحليل المحتوى فى الكشف عن القيم الاجتماعية فى أعمال أدبية ، وإنتهى هذا الباب بالفصل السابع الذى حاول فيه الباحث تجميع خيوط المعالجة السابقة لصياغة إطار تصورى للدراسة يتكون من قطاعين أولهما نظرى ، والآخر منهجى ، وتكنيكى .

أما الباب الثالث فكان عنوانه : القيم الاجتماعية بين الفن الروائى والواقع : دراسة تحليلية وبحث ميدانى ، وضم الفصول من الثامن إلى الرابع عشر ، حيث تكفل الفصل الثامن بدارسة تاريخية عن نشأة وتطور الرواية الريفية المصرية ، واحتوى الفصل التاسع على توضيح خطة الدراسة التحليلية وإجراءاتها ، أما تحليل محتوى رواية الفلاح فقد إستغرقته ثلاثة فصول ، حيث عرض الباحث فى الفصل العاشر تحليلا للأطر العامة للرواية ، وسمات الشخصيات ، وخصائصها ، والأدوار التى لعبتها ، وفى الفصل الحادى عشر تعرض لتحليل القوى والجماعات والعلاقات الاجتماعية كما تصورها الرواية ، وخصص الفصل الثانى عشر لإستعراض القيم الاجتماعية المتضمنة فى محتوى النص الروائى ، وفى الفصل الثالث عشر تسجيل لخطة العمل الميدانى وإجراءاته ونتائجه ، وفى الفصل الأخير عرض للاستخلاصات الأساسية التى توصلت لها الدراسة .

وفيما يتعلق بالإجراءات المنهجية للدراسة فلم نجد كما تعودنا دائماً فى الدراسات السابقة أى إجراءات منهجية على النحو الذى تعارفنا عليه ، ونقصد الوسائل والإجراءات التى تعين الباحث على تحقيق أهدافه التى يسعى إليها . كل ما هناك أن الاتجاه العام لهذه الدراسة هو الاتجاه التاريخى ، بمعنى أنه قد إستعان ، على حد فهمنا ، بالتحليل التاريخى لتحقيق هدفين ، أساسيين من أهداف الدراسة . الأول يتمثل فى تأسيس مدخل نظرى لوجى

منظم لفهم الظاهرة الفنية ، ويتركز الثانى فى الكشف عن العلاقة بين تطور الرواية الريفية المصرية من حيث نشأتها وتطورها ، وبين التطور الاجتماعى الذى شهده المجتمع المصرى منذ نشأة هذه الرواية . وإستعان بتحليل المضمون Content Analysis أو المحتوى وبخاصة فى تحقيقه للهدف الثالث من أهداف دراسته وهو الخاص بتحليل القيم الاجتماعية المتضمنة فى رواية الفلاح محور تركيز دراسة الباحث . أما من حيث تحقيقه للهدف الرابع من أهداف الدراسة وهو الخاص بالمقارنة بين القيم الاجتماعية التى تصورها رواية الفلاح ، والقيم الاجتماعية القروية الواقعية فى قرية الدلاتون بمحافظة المنوفية بإعتبارها البيئة التى مارست تأثيرها على نشأة الأديب وأحداث الرواية فقد استخدم الباحث إسلوبى المقابلة الجماعية من خلال دليل المقابلة الذى إحتوى على قائمة من القيم الاجتماعية ذات الطابع السياسى : الديمقراطية ، الإنتماء الطبقى ، الإشتراكية ، العدل ، الحرية ، الثورة ، الحكومة ، الإتحاد الاشتراكى ، تذويب الفروق بين الطبقات ، بالإضافة إلى إستخدامه لأسلوب الملاحظة ، والإخباريين فى القرية .

ولقد إستهدف العمل الميدانى الذى قام به الباحث التعرف على طبيعة عدد من القيم الاجتماعية ذات الطابع السياسى لدى الطبقة الدنيا فى القرية مجال الدراسة الجغرافى ، وكان الدافع وراء هذا العمل الميدانى الرغبة فى التعرف على طبيعة الوحدة السسيولوجية التى تتعامل مع الدراسة فى علاقتها بالإبداع الروائى عند الأديب كاتب رواية الفلاح ، وهذه الوحدة هى : القيم الاجتماعية التى شكلت الفئة الأساسية فى تحليل محتوى رواية الفلاح . أما لماذا إختار الباحث وركز على الطبقة الدنيا ؟ فإن ذلك راجع إلى أن أعضاء هذه الطبقة قد برزت من خلال تحليل محتوى اهتمام الشرقاوى بها وتصويره لكفاحها ضد القوى الأخرى المعادية لها ، والمتناقضة معها طبقياً واجتماعياً :

وقد بلغ عدد المقابلات الجماعية التى أجراها الباحث عشر مقابلات

جمعت كل منها ما بين ثلاثة وأربعة من المبحوثين ، وقد بلغ مجموع عدد المبحوثين الذين أجرى معهم هذه المقابلات ثلاثين مبحوثاً جمعت بينهم سمة التشابه فى مجال النشاط ، ونوع العمل ، والإنتماء إلى مستوى إقتصادى وتعليمى متقارب .

وعلى ذلك فإن الموضوعات التى أثيرت فى المقابلات الجماعية كانت تدور حول ما يمكن أن يكشف عن فهم الجماعة لمعنى القيمة المعينة ومضمونها ، وما يرغبون فيه أو مالا يرغبون فيه، ويستهجنونه فى مجال القيم السياسية والأيديولوجية والمواقف الاجتماعية المفترضة أو التى تكون قد حدثت بالفعل فى حياتهم ، والتى تتجلى فيها تلك القيم سواء فى إتجاهها الإيجابى أو السلبى ، وما الذى يمكن أن يفعلونه لتأكيد هذه القيمة أو تلك . فعلى سبيل المثال فيما يتعلق بالديمقراطية كقيمة سياسية ، كان الباحث يدير المناقشة على أساس مجموعة من النقاط التالية .

١ — معنى كلمة الديمقراطية . ٢ — متى وكيف سمع المبحوثون عن كلمة الديمقراطية ؟

٣ — معنى القاعدة الشعبية . ٤ — أسس الحكم السليمة .

٥ — كيف يعبر الناس عن آرائهم ؟ ٦ — مدى أهمية تعبير الناس عن آرائهم.

٧ — خصائص الحاكم الديمقراطى . ٨ — أهمية الإنتخابات .

٩ — رأى الأغلبية ورأى الأقلية .

تلك هى الإجراءات المنهجية كما عرضناها ، ونأخذ عليها عدة مآخذ أولا أن الباحث لم يقم بصياغة أى فروض أو تساؤلات تسعى الدراسة لحسمها أو الإجابة عليها . وحاولنا قدر جهدنا أن نتلمس بين ثنايا صفحات الدراسة أى أشارة إلى ذلك ، ولكننا لم نجد أن شيء سواء من قريب أو من بعيد يعكس لنا الوسائل التى ستعين الباحث على تحقيق أهدافه . ثانيا أن

المقابلات الجماعية ؛ والملاحظة كأسلوبين لتحقيق الهدف الرابع من أهداف الدراسة ، وهو الخاص بالمقارنة بين القيم الاجتماعية التى تصورها رواية الفلاح ، والقيم الاجتماعية الواقعية فى قرية الدلاتون بمحافظة المنوفية . أو ما يسميها الباحث بالعمل الميدانى لم يكن له أى داع إطلاقا ، بل لم يكن هناك أى داع لهذا الهدف ، فقد كان المفروض أن يكتفى الباحث بالأهداف الثلاثة الأولى . حيث نلاحظ أن العمل الميدانى كذلك نتائجه لا تثرى الدراسة ، أو بمعنى أكثر تحديدا لم يشكل أى إضافة للبحث فهو تحصيل حاصل كما يقولون . والغريب أننا نجد الباحث يعلن صراحة فى متن الرسالة أنه لا يسعى إلى صياغة فروض علمية يتحقق منها إمبيريقيا عن طريق ضوابط منهجية وتكنيكية صارمة كتلك التى يصطنعها الباحثون فى مجال الدراسات التجريبية التقليدية التى تهتم إهتماماً بالغا بمسائل العينة ومدى تمثيلها ، وضبط المتغيرات ودقة الأدوات . ونتساءل هنا ... لماذا إذن أجهد نفسه لكى ينهى دراسته ببحث ميدانى ؟ ولماذا اختار الباحث ثلاثين مبحوثا لكى يجرى معهم مقابلات جماعية ؟ وإذا كان الباحث قد اعتمد على دليل المقابلة أعده متضمنا الموضوعات الأساسية التى كان يسعى إلى الحصول على بيانات متعلقة بها . لماذا لم نعثر على هذا الدليل الذى يدعى وجوده سواء فى متن الرسالة أو فى ملحقها ؟

وهذا يجعلنا نؤكد أن العمل الميدانى هو مجرد تحصيل حاصل لا فائدة من ورائه .

وفيما يتعلق بنتائج الدراسة فيمكن أن نقسمها إلى أربع مستويات : نظرى ، وتاريخى ، وتحليلى ، وميدانى فعلى المستوى النظرى وهو المتعلق بتحقيق الهدف الاول الخاص بتأسيس مدخل سسيولوجى لفهم الظاهرة الفنية ، فقد قام الباحث بتحليل معرفى أو بسسيولوجيا المعرفة لعدد من الأطر النظرية التى قدمت تفسيرات حول طبيعة الظاهرة الفنية ومكانتها فى المجتمع والدور الذى

تلعبه ، وهى : النظرية التطورية ، والتحليل الوظيفى ، ونظرية الفعل الاجتماعى والبنائية الوظيفية ، وأخيرا التحليل المادى التاريخى .

وقد حدد ممثلى النظرية التطورية (سمنر وكيلر ...) مجموعة من الدوافع البيولوجية والسيكلوجية كمنابع لظهور النظم ، وأن الظاهرة الفنية نتاج لدافع الغرور الذى تتطور عنه نظم إقناع الذات ، وأن دورها فى المجتمع يقتصر على التسلية والترويج وإرضاء دافع الغرور :

وقد أهمل الاتجاه الوظيفى عامل التطور ، وركز على دور النظم فى الحفاظ على بقاء المجتمع وتوازنه ، وإختزلت وظيفة الفن عند أنصار هذا الاتجاه فى تحقيق آثار تؤدى إلى التضامن والتماسك (راد كليف براون) أو فى تحقيق بعض الوظائف البيولوجية لدى الأفراد (مالينوفسكى) .

أما اتجاه الفعل الاجتماعى كما يمثله ماكس فيبر فقد غلبت على تفسيراته فكرة المعنى ، وتفتيت الفعل الإنسانى إلى أنماط سيكلوجية متعددة ، ولم تتضح فى تفسيرات هذا الاتجاه العلاقة بين الوسائل والغايات ، وهى العلاقة التى يفسر فى ضوئها الأسس العقلية والاجتماعية للموسيقى الغربية .

وانتهت البنائية — الوظيفية (بارسونز) إلى معالجة الفن فى ضوء مجموعة من المفاهيم مثل الأدوار ، والمكانات ، والرموز ، وبالتالى لم تستطع أن تحدد القوانين التى تحكم الفن فى تطوره ، وتغيره وارتباطه بالمجتمع . أى أن كل هذه الاتجاهات كانت تحاول تجزيئ الظاهرة الفنية ، وبالتالى أغفلت العوامل الحقيقية للتطور الاجتماعى ، وركزت على تأثير النظم فى تضامن المجتمع وتوازنه :

وقد قدمت المادية التاريخية — كما يرى الباحث — منظورا أشمل وأرحب يمثل إطارا ملائما لدراسة الظاهرة الفنية وغيرها من ظواهر الوعى الاجتماعى . وقد أسست المادية التاريخية مبدأ منهجى هام يشير إلى طبيعة العلاقة بين الواقع الاجتماعى والتعبير الفنى . وتخلصت من النزعة الميكانيكية ،

وصاغت نظرة شاملة للفن تراه فى ضوء السياق الاجتماعى العام ، وتميزه بوصفه إدراكا جماليا للواقع ، ولاتغفل فى الوقت نفسه تعقد العلاقة بين الواقع والإبداع الفنى (لوكاتش ، وجولدمان) .

خلاصة القول فإن التحليل المادى التاريخى يعد توجيها ملائما ، ومدخلا رئيسيا لدراسة الأدب مسيولوجيا .

أما المستوى التاريخى ، وهو المتعلق بتحقيق الهدف الثانى من أهداف الدراسة والخاص بطبيعة العلاقة بين الرواية الريفية المصرية من حيث نشأتها وتطورها ومحتواها ، وبين التطور الاجتماعى الذى شهده المجتمع المصرى منذ نشأة هذه الرواية :

لقد استعان الباحث فى تحقيق هذا الهدف بالكتابات النقدية الأدبية التى تعرضت لتطور الأدب العربى فى مصر وخاصة النوع الروائى ، وكذلك بالدراسات الأدبية التى أجريت عن الرواية الريفية . وقد لوحظ أن الرواية الريفية قد نشأت وتطورت فى ظل المؤثرات التى شكلت السياق العام لنشأة وتطور الرواية المصرية بشكل عام .

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر مازال محتوى الرواية الريفية يفصح عن جدل بين الواقع الاجتماعى بقضاياه ومشكلاته ، وبين هموم وخبرات الكتاب . وإن — كانت الرؤية قد إختلفت بين روائى وآخر . ولذلك عكست الرواية الريفية منذ نشأتها مشكلات المجتمع الريفى كما يدركها الأدباء إبتداءاً من مشكلات الغزو الحضارى ، وصراع الفلاحين ضد جنود الاحتلال ، حتى مشكلة الحجاب ومظاهر التخلف ، كما عكست كذلك كفاح الفلاح المصرى ضد الحكومات المستبدة ومظاهر التخلف ، كما عكست كذلك كفاح المصرى ضد الحكومات المستبدة من أجل الأرض والحياة ، والدستور والعدل ، وشقاء العمال الزراعيين .

ومن خلال ذلك العرض إتضح ضآلة عدد الروايات التى كتبت عن القرية المصرية بالمقارنة بما قدمه الروائيون المصريون من أعمال روائية عامة، ولقد أرجع الباحث السبب فى ذلك إلى أن الروائيين عادة ما يكونون من سكان المدن أو هم قد نزحوا إليها للتعليم ثم إستقروا فيها ؛ وتصبح صلاتهم بعالم القرية واهية وقد لاترتبطهم به سوى ذكريات طفولة ، أو زيارات عابرة .

وفيما يتعلق بالمستوى الثالث وهو المستوى التحليلى والمتمثل فى تحقيق الهدف الثالث من أهداف الدراسة الخاص بالقيم التى تعكسها رواية الفلاح لعبد الرحمن الشرقاوى ، فقد إستخدم الباحث إسلوب تحليل المضمون للتعامل مع النص الأدبى مستفيدا من الإطار التصورى الذى تم عرضه لموضوع العلاقة بين الظاهرة الفنية والمجتمع : بمعنى أكثر تحديدا فقد حاول الباحث أن يوظف تلك العلاقة، علاوة على مفهوم القيم للتعرف على القيم الاجتماعية فى محتوى رواية الفلاح ، ويسبق ذلك كله التعرف على طبيعة الوجود الاجتماعى فى القرية المتخيلة فى الرواية . ولذلك قام الباحث بتحليل الرواية وفقا لثلاث فئات :

١ — الأطر العامة للرواية : وتضم عدة عناصر فرعية منها : المجال الزمنى والجغرافى والبشرى لأحداث الرواية، بالإضافة إلى موضوع الرواية الرئيسى :

٢ — شخصيات الرواية من حيث سماتها وأدوارها : وقد إعتمد الباحث فى تحليل هذه الفئة على عرض العناصر منها : العمر الزمنى ، والسمات والملامح الشخصية ، والمهن ، والملكية ، والحالة الاجتماعية ، والمستوى التعليمى ، وعضوية الجماعات والتنظيمات : وأخيرا دور الشخصية فى أحداث الرواية :

٣ ـ القوى والجماعات والعلاقات الاجتماعية : إعتمد الباحث فى تحليل هذه الفئة على عددا من المحكات التى كانت بمثابة مؤشرات على خصائص تلك القوى والجماعات ، وكانت هذه المحكات هى : حجم الحيازة للأراضى الزراعية ، وطريقة إستغلال هذه الحيازة ، ومستوى المعيشة ، والنفوذ الاجتماعى والسياسى ، والسلطة الإدارية والوعى الطبقى ، والتطلعات والمطامح .

أما القوى والجماعات التى أسفرت عنها عملية التحليل فهى :

- الطبقة العليا فى القرية .
- الطبقة الوسطى فى القرية
- الطبقة الدنيا فى القرية .
- جماعة المتعلمين فى القرية .
- البيروقراطية الريفية .
- عناصر هامشية فى القرية .

ومن خلال تلك الفئات التحليلية تمكن الباحث من إعداد خطة لتحليل المحتوى القيمى فى الرواية ، وقد أسفرت عملية التحليل عن تبين عدد من القيم المتوزعة على مجالات مختلفة ، وكان من بين هذه القيم ما هو إيجابى وما هو سلبى بالنظر إلى الجماعة ، والطبقة الاجتماعية التى تتبنى القيم .

ومن الجدير بالذكر أن قطاعا كبيراً من القيم المتبينة فى محتوى الرواية ينتمى إلى الطبقة الدنيا فى القرية التى تصورها الرواية .

ويمكن صياغة أهم الإستنتاجات التى خرج بها الباحث من تحليل مضمون الرواية ، وذلك كما يلى :

- تلعب البيئة التى ينشأ فيها الفنان دوراً أساسيا فى صياغة رؤيته للعالم ، وعلاقته بالجماعة أو بالطبقة التى ترتبط بها رؤيته للعالم ؛

- أن الطبقة الدنيا فى القرية تتمتع بوعى سياسى واجتماعى وتاريخى ، كما تحتل مجموعة القيم السياسية مكانا بارزاً فى النسق القيمى العام لدى هذه الطبقة ؛

أما المستوى الرابع والأخير فهو المستوى الميدانى الذى يمثل الهدف الرابع من أهداف الدراسة ، وهو مقارنة القيم الاجتماعية التى تصورها رواية الفلاح ، وبين القيم الاجتماعية الواقعية فى القرية المصرية ، ويمكن القول أن المقارنة بين ماصوره الشرقاوى من قيم سياسية عند الطبقة الدنيا فى القرية التى تصورها الرواية من ناحية ، وبين القيم السياسية لدى أعضاء الطبقة الدنيا فى قرية الدلاتون مجال الدراسة الميدانية من ناحية أخرى ، تشير إلى أن هناك إختلافا واضحا بين الحالتين : حالة القيم فى الرواية ، والقيم فى الواقع ، ولقد أرجع الباحث ذلك الإختلاف إلى أن الأشياء والوقائع الملموسة تختلط بالأفكار والأحلام والآمال عند الكاتب ، وتتحول إلى عناصر أو أجزاء فى رؤية متماسكة كاملة تتجاوز الواقع الملموس والمباشر ، وتدركه فى شموله وصيرورته .

وبعد فهذه هى نتائج الدراسة لانأخذ عليها شيئا سوى أمرين أساسيين أولهما أن تلك النتائج تنفى المقولة التقليدية القائلة بأن « كل بحث اجتماعى لابد أن يتضمن عمل ميدانى يجيب فيه الباحث على تساؤلات الدراسة ، أو يختبر فروضها » فقد رأينا فى الدراسة الراهنة أن الباحث القائم بها قد حقق ثلاثة من أهدافها دون النزول إلى الواقع الميدانى ، بل إعتمد إعتمادا أساسيا على ثلاثة مستويات أو أبعاد : نظرى ، وتاريخى ، وتحليلى . وثانيهما أن الدراسة الميدانية بنتائجها التى تم عرضها لاتفيد فى شئ ، إلا أن الباحث

كان خائفا من عدم قبول تسجيل رسالته دون الإشاره إلى أنه سوف يقوم بعمل ميدانى ؛ وبخاصة وأن الأساتذة المهيمنين على البحث الاجتماعى فى ذلك الوقت يمكن أن يمثلوا علم الاجتماع المصرى فى مرحلته التقليدية الناقلة والمقلده لعلم الاجتماع الغربى التقليدى ، وكانوا يتمسكون بالحرفية التقليدية التى تدعى أن البحث لايكون صالحا إلا إذا تضمن عملا ميدانيا .